التطوُّع اللغويّ:
نماذج عربيّة ودوليّة

عيسى عودة برهومة[1]

مدخل

الإنسان ابن المجتمع، به يقوم ومنه يكتسب كيانه وهويّته، ومن خلال تواصُله مع أفراد المجتمع تتحدّد منزلته وشخصيّته ووظيفته فيه، ومنذ القدم أدرك الإنسان قيمة الاجتماع، وأهميّته في اكسابه كيانه ووجوده، وإحساسه العميق بالأمن. والإنسان لا يستطيع أن ينأى بنفسه ليعيش وحيداً خارج إطار الجماعة؛ فالاجتماع البشري ضرورة بشريّة، لذلك لم يبالغ أرسطو حين قال: «الإنسان حيوان اجتماعي»، لا يقوم إلا بالمجتمع، وفي المقابل لا يقوم المجتمع إلا بالإنسان.

والجماعة لا تقوم دون لغة، فهي أداة التواصُل بين الأفراد، بها تتحقق اللُّحمة، ويكتسب المجتمع هويّته، وكيانه، وتميّزه عن باقي المجتمعات، وطالما شعر الإنسان بأهمّية الاجتماع والتواصل، فراح يجترح وسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي، فكانت اللغة وسيلته السحريّة التي نمت في أحضانه، وحفظت كيانه ونظامه ووسمت أفراده بهُويّة خاصة، فما انفك التضافر متيناً بين هويّة الفرد والجماعة التي ينتمي إليها.

ويعبّر الإنسان عن انتمائه إلى مجتمعه عن طريق القيام بالكثير من الأعمال التطوّعية المتنوعة التي يقدّمها خدمةً لأفراد مجتمعه من غير أن ينتظر مقابلاً أو أجراً مادياً، فالعمل التطوّعي هو: «عمل اجتماعي إرادي غير ربحي، وعادةً ما يتقدم به الفرد طوعاً بدون مقابل أو أجر مادي منطلقاً من قناعاته الشخصيّة ومبادئه الخاصة ومدفوعاً باحتياجات المجتمع البشري بشكلٍ عام في أي مكان وأي زمان»[2]، ومدفوعاً بحبّه وإخلاصه ورغبته الملحّة في أن يظهر مجتمعه قوياً متميّزاً عن باقي المجتمعات، وذلك لا يتم إلا من خلال التعاون بين الأفراد، والالتحام معاً في سبيل أن يظهر مجتمعهم قوياً متماسكًا أمام المجتمعات الأخرى.

1- أستاذ اللسانيات المشارك/ الجامعة الهاشمية/ الأردن.

2- عمل الأفراد التطوعي من مجرد الرغبة إلى الاحتراف، مجلة خطوة، السنة الثانية، ع2، يوليو 2013م، ص6.

وتتنوّع الخَدمات التطوّعيّة المقدّمة من الأفراد مثل: رعاية الأيتام، وجمعيات رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، وكبار السن، وتقديم الرعاية الصحيّة للفقراء، وغير ذلك. ويُعدُّ التطوّع اللغوي أحد أهمّ أشكال الأعمال التطوّعيّة، وتنبع ضرورته من أهمّية اللغة نفسها للفرد والمجتمع، فلغة الفرد هويّته، والهويّة مطلب فرديّ يتمحور حول إثبات ذات الفرد في هُويّة قوميّة، أو تمييزها ضمن هويّات مختلفة، وذلك لا يتمّ إلا من خلال اللغة، لأن الهويّة لا تولد مع الإنسان، بل إنها شيءٌ يكتسبه اكتساباً من البيئة المحيطة، وذلك من خلال تفاعله مع أفراد جماعته وعلاقاته معهم، وحاجته في أن يتميّز ويثبت وجوده بينهم، إذ ثمّة علاقة ديناميكيّة تفاعليّة بين اللغة والهويّة وُصفت بأنها علاقة قويّة يتبادلان من خلالها قوّة التأثير، وكما أنّ اللغة سبب في وجود الهويّة، فإنّ الهويّة أيضاً سبب في وجودها، وبقاء اللغة مرهون ببقاء هويّة الجماعة[1].

ويشير «التطوّع اللغوي» إلى الأعمال التي يقوم بها الأفراد أو المؤسسات طوعاً دون توقّع أجر مادي من أجل حماية اللغة والدفاع عنها وتعزيز استخدامهاوفاعليتهاووجودها في المجتمع؛ منطلقين من وعيهم الكامل بأهمية اللغة، وحاجة المجتمع إلى المحافظة على هويّته ووجوده بين المجتمعات؛ وهذه الأعمال التطوّعيّة أعمال فرديّة أو مؤسساتيّة خاصة، بمعنى أنّها غير مرتبطة بالمؤسسات الحكوميّة أو خاضعة لها إلا في بعض الأحكام والقوانين، فالأفراد والمؤسسات يقدّمون مشروعات وبرامج غير ربحيّة يهدفون من خلالها إلى خدمة اللغة.

الأهداف والمنهجيّة

تروم هذه الدراسة النظر في تجارب عربيّة ودوليّة في التطوع اللغوي، وبسط الرؤى والتطلعات التي تنطوي عليها هذه النماذج المختارة، وقد توزّعت مفاصل الدراسة في المحورَيْن التاليّيْن:

أولاً: الجهود التطوعيّة العربيّة في خدمة اللغة

ثانياً: الجهود العالميّة في خدمة اللغة

وسأتبع في البحث المنهج الوصفي التحليلي، إذ سأعرض للجهود التطوّعيّة العربيّة والدوليّة التي اخترتها، مبيّناً الأدوار والإسهامات والإنجازات التي قدّمتها في خدمة اللغة، فضلاً عن المقارنة بينها من أجل الوقوف على نقاط القوة والضعف لكل مبادرة تطوّعيّة منها.

1- التطوّع اللغوي العربي

1.1. نظرة تاريخيّة

تكتسبت اللغة العربيّة خصوصيّة وتميّزاً منذ القدم إلى الآن؛ إذ جعلها الله لغة القرآن الكريم،

1- Adriana Val: PolinaVingoradova, Heritage Briefs, p 2.

فحباها من فضله حتى صارت مهوى أفئدة المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، فالعربيّة لم تكنْ لغة العرب فحسب، لكنّها لغةُ كل قارئ للقرآن الكريم، وعابد لله تعالى؛ لذلك فقد ارتبطت مكانتها بمكانة الدين الإسلامي، وأهميتها بأهمية الالتزام به، فهي إذن هُويّة الجماعة المسلمة في هذا العالم.

وقد أدرك القدماء مكانتها وأهميتها، وارتباطها الوثيق بالإسلام، وأداء العبادات، وعندما اختلطت الألسنة العربيّة بالأعاجم، نهض مجموعة من اللغويين القدماء مثل: أبي الأسود الدؤلي أول من وضع أصول النّحو[2]، وأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والكسائي، وغيرهم، فجعلوا أولى اهتماماتهم حفظ اللغة العربية وحمايتها مما تسرب إليها من اللحن وما قد يصيبها من الفساد، وتُعدّ جهودهم أمثلة على أولى المبادرات والجهود التطوعيّة في خدمة اللغة.

2.1. التطوع اللغوي العربي والتحديات المعاصرة

يمرّ الخطاب اللغوي العربي في الدول العربية من منعطف صعب، بسبب ما يحيق به من التحدّيات مثل: مشكلة الازدواجيّة اللغويّة، والهيمنة اللغويّة[3]، والاستعمار الثقافي، التي تُعدّ من مخلّفات الاستعمار السّياسي للدّول العربيّة؛ إذ إنّ استقلالها السّياسي ليس استقلالاً كاملاً وما زالت ترزخ تحت الاستعمار الثقافي المتمثّل باستخدام اللغة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة في التّواصُل إلى جانب اللغة العربيّة، وما نتج عنه من إضعاف للغة العربيّة مقابل اللغة الأجنبيّة.

ودفاعاً عن العربيّة ظهرت مجموعة من المبادرات التطوّعيّة الواعيّة التي وضعت نُصب عينها حماية اللغة العربيّة وإنقاذها من الاندثار والدفاع عنها من الغزو الثقافي والهيمنة اللغويّة، مؤكدة على ضرورة محاربة كلّ ما تتعرّض له العربيّة من محاولات التهميش والإقصاء، فحذّرت - على سبيل المثال - الجمعيّة الجزائريّة لحماية اللغة العربيّة من هيمنة اللغة الفرنسيّة على اللغة العربيّة في الجزائر، فمكانة اللغة العربيّة الفصحى فيها اجتماعياً وشعبياً تقع في المرتبة الثانية بعد الفرنسيّة في الهرم اللغوي الثلاثي (العاميّة والفصحى والفرنسيّة)[4]، فبلاد المغرب العربي كانت ترزخ تحت

1- سورة: الزخرف، الآية: 3.

2- ينظر: محمد المختار ولد ابّاه، تاريخ النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2008م، ص19.

3- الهيمنة هي: نوع من العلاقة يتم من خلالها هيمنة مجتمع على الآخر عبر آليات تتدرج من الاستغلال ثمّ التغلغل ثمّ التجزئة وأخيراً التهميش، وتتم عمليّة الاستغلال من خلال التواصُل المستمر بين جهتين ويتم من خلالها تبادُل تجاري وتبادل سلع ولكن بطريقة غير متساوية، تحقق من خلاله الدولةُ المهيمِنةُ مصالحَها. ينظر: روبرت فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الحشاش، جامعة الملك سعود، السعودية، 2007م، ص78.

4- ينظر: مجموعة مؤلفين، اللسان العربي وإشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العربي (55)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م، ص52.

الاحتلال الفرنسي، وهي الآن جزء من المنظمة الفرونكوفونيّة[1] الوجه الآخر للاستعمار الفرنسي على الدول التي كانت تحت سيطرتها ونالت استقلالها.

وتُعدّ الجمعية الجزائريّة للدفاع عن اللغة العربيّة[2] واحدة من المبادرات التي حملت على عاتقها مسؤوليّة الدفاع عن العربيّة، وتعزيز الانتماء لها، ووجودها في حياتنا العامة والخاصة، والتأكيد على استعمالها في مختلف المجالات الثقافيّة والاجتماعيّة والتربويّة، والحرص على استصدار القوانين التي تعزز قراراتها، مثل:

1. جمعيّة حماية اللغة العربيّة[3]، ظهرت في الشارقة عام 1999م.
2. الجمعيّة المغربيّة لحماية اللغة العربيّة[4]: ظهرت في المغرب عام 2007م.
3. جمعيّة حماة الضاد[5]، ظهرت في لبنان عام 2010م.
4. المشروع الوطني للدفاع عن اللغة العربيّة[6]، ظهر في الأردن عام 2013م.
5. مبادرة فرسان الضاد[7]: ظهرت في الأردن عام 2013م.
6. مبادرة وزارة التعليم العالي[8]: ظهرت في الإمارات عام 2014م.

3.1. التطوع اللغوي العربي في الشابكة

يبدو أنّ حالة الضعف والتراجع في العالم الرقمي باتت تحوم حول اللغة العربيّة التي تعاني ضعفاً شديداً أمام اللغات الأجنبيّة التي تظهر بقوّة على الشّابكة في تجلياتها المختلفة على مستوى العلوم والثقافة والآداب والتواصُل الاجتماعي.

وانطلاقاً من الوعي العام بضرورة أن تظهر اللغة العربيّة بقوة على الشابكة ظهرت مجموعة من

1- فالفرنكوفونيّة هي منظمة تضم الدول الناطقة بالفرنسيّة إضافةً إليها الدول التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي ومن بينها لبنان ودول المغرب العربي، وتنفّذ هذه المنظمة سياسات وبرامج تعاون متعدد الأطراف بين الدول الأعضاء(سيأتي تفصيل لبعض دلالات الفرنكفونية في مبحث التطوع اللغوي الفرنسي).
الموقع الرسمي للمنظمة الفرنكوفونية: http://www.francophonie.org/

2- ظهرت الجمعيّة الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية عام 1990 بهدف ترقية العربية والنهوض بها في مواجهة الهيمنة اللغوية والاستعمار الثقافي، لم أعثر على عنوان إلكتروني خاص بصفحة الجمعية.

3- http://arabicabjad.com/index.php/home/indexs

4- http://ueimaroc.wordpress.com/2011/12/28/

5- http://houmat-al-dad.yolasite.com /

6- http://www.mubeen.org/News.aspx?id=42&sid=5

7- http://www.mubeen.org/News.aspx?id=42&sid=5

8- http://www.mohesr.gov.ae/Ar/MediaCenter/News/Pages

المبادرات التطوعيّة اللغويّة على الشابكة، حيث كانت تهدف إلى إثراء المحتوى العربي كماً وكيفاً، وتُصنّف المبادرات إلى قسمين:

أولاً: مبادرات تطوّعية علميّة مؤسّساتيّة: وهي المبادرات التطوّعيّة التي أسستها المؤسسات التربويّة والثقافيّة في الدّول العربيّة وخارجها، وقد يؤسّسها المثقفون واللغويّون لأهداف تعليميّة وتربويّة، وأذكر منها:

1- المحتوى العربي[1]، أُسّس بدعم من الحكومة السعوديّة سنة 2009م.
2- مجمع اللغة العربيّة الافتراضي[2]: أُسس في السعوديّة عام 2010م، بإشراف عبد الرزاق الصاعدي.
3- مجمع اللغة العربيّة على الشبكة العالميّة[3]، أُسّس المجمع برئاسة عبد العزيز بن علي الحربي.
4- مبادرة بالعربي[4]، وهي مُبادرة أُطلقت في الإمارات العربيّة المتحدة عام 2013م.
5- مجمع اللغة العربيّة للشباب العربي[5]، مبادرة نظمها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدوليّ لخدمة اللغة العربيّة في شهر أيلول من عام 2014م.
6- مشروع المرصد الأوروبيّ[6]، وهو مشروع قام به مجموعة من الباحثين الغيورين على اللغة العربيّة في فرنسا.
7. شبكة اللغويات[7]، وهو موقع إلكترونيّ أنشأه مجموعة من الباحثين والطلبة العرب مثل: عبد الرحمن بودرع، ومصطفى رجب، ومحي الدين مُحسِّب، وغيرهم.
8- شبكة الفصيح للغة العربيّة[8]، وهو موقع إلكتروني يهتم بقضايا اللغة العربيّة أنشأه مجموعة من الباحثين العرب.
9- لسان العرب[9]، وهو موقع متخصص بعلوم اللغة العربيّة وآدابها، يُعنى بتوفير الدراسات والكتب والرسائل الجامعيّة (ماجستير، دكتوراه) والدوريات.

1- المحتوى العربي، المرقع الإلكتروني:http://www.econtent.org.sa/Pages/Default.aspx
2- مجمع اللغة العربيّة الافتراضي، العنوان الإلكتروني: http://almajma3.blogspot.com
3- مجمع اللغة العربيّة على الشبكة العالميّة، الموقع الإلكتروني: http://www.m-a-arabia.com
4- مبادرة بالعربي، الموقع الإلكتروني: http://www.mbrfoundation.ae/ar/Projects/Pages/bel3arabi.aspx
5- مجمع اللغة العربيّة للشباب العربي، الموقع الإلكتروني: http://www.kaica.org.sa
6- المرصد الأوروبي، الموقع الإلكتروني: http://europarabic.org
7- شبكة اللغويات، الموقع الإلكتروني: http://www.arabiclinguistics.net/vb/index.php
8- شبكة الفصيح للغة العربية، الموقع الإلكتروني: http://www.alfaseeh.com/vb/forum.php
9- لسان العرب، الموقع الإلكتروني:
http://lisaanularab.blogspot.com/search/label/%D8%A3%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AB

10- موقع محمد ربيع الغامدي[1]، وهو موقع إلكتروني أسسه محمد سعيد الغامدي أستاذ العلوم اللغوية في جامعة الملك عبد العزيز في السعودية.

11- الورّاق[2]، وهو موقع متخصص، الراعي الرسمي ومدير موقع الوراق هو محمد السويدي.

12- الألوكة[3]، وهي شبكة ثقافية بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد وخالد بن عبد الرحمن الجريسي.

13- شبكة صوت العربيّة[4]، أسسه عبد العزيز بن حميد الحميد عام 1422هـ.

14- مدوّنة عبد الرحمن بودرع[5]، وهو مشروع لساني عربي يحيي التراث ويفيد من الجديد.

ثانياً مبادرات تطوّعيّة شبابيّة: وهي مبادرات أطلقها الشباب العربي بهدف إغناء المحتوى العربي على الشابكة وتوفير مواد علميّة ومقالات باللغة العربية عليها، وتعتمد بالدرجة الأولى على مواقع التواصل الاجتماعي مثل: الفيس بوك، وتويتر.

ومن هذه المبادرات الشبابيّة:

1- مبادرة تغريدات (2011م)[6].

2- مشروع مترجم (2012م)[7].

3- ناسا بالعربي[8].

4- بالعربي أحلى[9].

5- المشروع العراقي للترجمة (Iraqi Translation Project) (2013م)[10].

قدّمت هذه المشاريع والمبادرات التطوعيّة الكثير من الإنجازات والإسهامات في دعم المحتوى

1- لسان العرب، الموقع الإلكتروني:
http://lisaanularab.blogspot.com/search/label/%D8%A3%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AB

2- الوراق، الموقع الإلكتروني http://www.alwaraq.net/Core/index.jsp?option=1:

3- الألوكة، الموقع الإلكتروني: http://www.alukah.net

4- الألوكة، الموقع الإلكترونيhttp://www.alukah.net:

5- مدونة عبد الرحمن بودرع، الموقع الإلكتروني: http://www.boudraa.com/?cat=4

6- تغريدات، العنوان الإلكتروني: http://taghreedat.com

7- مترجم، العنوان الإلكتروني للموقع: http://mo.moutarjam.com

8- ناسا بالعربي، العنوان الإلكتروني على الفيس بوك: https://www.facebook.com/NasaInArabic/timeline
الموقع الإلكتروني: على تويتر: https://twitter.com/NasaInArabic1

9- بالعربي أحلى، الصفحة الرئيسية على الفيس بوك: https://www.facebook.com/bilarabiahla

10- المشروع العراقي للترجمة، الصفحة الرئيسية على الفيس بوك: https://www.facebook.com/Iraqi.Translation/info
على تويتر: https://twitter.com/iraqitranslatio

العربي على الشابكة كمًّا ونوعاً، بعدّة طرق مثل: ترجمة المقالات والبحوث والدراسات الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة ونشرها على الشابكة، ونشر البحوث والدراسات العربيّة، وزيادة المضامين العربيّة من فيديوهات، ومحاضرات وندوات، واستثمار الأدوات وتطبيقات الشابكة مثل تطبيق: (Hangout)، وتسخير المحتوى الرقمي في إنتاج بعض المشروعات مثل: المعجم الرقمي، وبرامج حاسوبيّة في النحو والصرف، وإنتاج الكتب الإلكترونيّة، وغير ذلك.

2- تجارب دوليّة في التطوّع اللغوي

سأعرض الآن مجموعة من التجارب الدوليّة في خدمة اللغة، مثل: التجربة الأمريكيّة، والتجربة الفرنسيّة، والصينيّة، وغيرها، أبيّن فيها الجهود التطوعيّة التي قامت بها هذه البلدان للغاتها، وطبيعتها والأساليب التي اتّبعتها وبعض الإنجازات، فاهتمام الدول الأجنبيّة بلغاتها لا يقل عن اهتمام الدول العربيّة بالعربيّة، بل إنّه يزيد عليها؛ فالتّجارب الدّوليّة تنطوي على أيديولوجيّات واتجاهات سياسيّة معيّنة، ترتبط بفكرة الصراع السياسي بين الدول على العالم، وبسط النفوذ والسيطرة على الدول الأخرى.

1.2. تجارب تطوعيّة لغويّة إنجليزيّة

تحتلّ اللغة الإنجليزيّة مكانةً مميّزةً في العالم من بين لغات الأرض، فهي اللغة الأولى والأكثر انتشاراً في العالم، فوفقاً لإحصائيّة أول عشر لغات على مستوى العالم بلغ عدد الناطقين بالإنجليزيّة 800,6 مليون شخص عام 2013م؛ فاحتلت المرتبة الأولى وتبعتها اللغة الصينيّة فالإسبانيّة فالعربيّة[1].

ويمكن أن نفسر الإقبال على تعلّم الإنجليزيّة بوصفها لغة ثانية في المجتمعات الثنائيّة أو بوصفها لغة أجنبيّة في مجتمعات أخرى لأنها «سمةٌ مصاحبة للثقافة والفكر، لدرجة أنّ الشخص المثقف في مجتمع ما أو الحاصل على مستوى تعليمي عالٍ ولا يتحدث باللغة الإنجليزيّة يُنظر إليه بشيءٍ من الانتقاص وربما يُمارس ضدّه الإقصاء»[2]، أضف إلى ذلك حضورُها الواضح القوي على الشابكة، الذي يفوق اللغات الأخرى كماً ونوعاً، والجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لتحافظ على مركزها بوصفها الدولة الأولى في العالم اقتصادياً وسياسياً.

ويسير تعليم اللغة الإنجليزيّة في اتّجاهين:

1- (Language statistics & facts).

نقلاً عن الموقع الإلكتروني: http://www.vistawide.com/languages/language_statistics.htm

2- الهيمنة اللغوية، ص8.

الأول: تعليم اللغة الإنجليزيّة لغةً ثانية في المجتمع الأمريكي نفسه.
ثانياً: تعليم اللغة الإنجليزيّة ونشرها في كل أنحاء العالم.

1.1.2. تعليم اللغة الإنجليزيّة بوصفها لغةً ثانية في المجتمع الأمريكي نفسه

يمثل الاتجاه الأول مبادرة قامت بها بعض المؤسسات التطوّعيّة مثل: (center for adult English language acquisition)[1] من أجل توفير فرصة تعلّم اللغة الإنجليزيّة للاجئين وللمهجّرين غير الناطقين باللغة الإنجليزيّة؛ لمساعدتهم على الاندماج في المجتمع الأمريكي، ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات الماليّة أو الاجتماعيّة أو النفسيّة، متّبعين في ذلك أساليب تربويّة متنوعة، مثل: التعليم المباشر، والتعلم التعاونيّ، بالإضافة إلى إعداد المتطوّعين إعداداً جيداً حتى يمتلكوا الكفاية التربويّة اللازمة.

2.1.2. تعليم اللغة الإنجليزيّة لغة ثانية في الخارج

لم تتوقّف خدمات المؤسسات التطوّعيّة الأمريكيّة على تعليم الإنجليزيّة لغة ثانية لغير الناطقين بها في الولايات المتحدة فحسب، إذ ثمّة رغبة قويّة لنشر اللغة الإنجليزيّة في الخارج، انطلاقاً من قانون سياسي هو قانون لجنة الوزارة البريطانيّة لعام 1956م الذي ينص على نشر اللغة الإنجليزيّة في الخارج تحت رعاية حكوميّة أمريكيّة في محاولةٍ لفرض اللغة الإنجليزيّة حتى تعتمد الدول الأخرى عليها، وبفرض اللغة الإنجليزيّة تصبح البلاد معتمَدة على لغة مستعارة تحمل معها الأيديولوجيّة المهيمنة والمصلحة الاقتصاديّة السياسيّة للولايات المتحدة[2].

وتهدف برامج تعليم اللغة الإنجليزيّة في الخارج إلى تقديم خدماتها التطوّعيّة المجالات الاقتصاديّة، والمجال الصحي، والمجال التعليمي لدول العالم الثالث، بالإضافة إلى تعليم الإنجليزيّة لشعوب تلك البلاد لإكسابهم لغة ثانية غير لغتهم الأصليّة دون أية تكلفة مادية عليهم. ومن هذه المشاريع، ما يلي:

1- مشروع المتطوعين العالميين لتدريس اللغة الإنجليزيّة في دول العالم Volunteers Global[3]
2- مشروع تعليم الإنجليزيّة بلاد العالم International language programs[4]

1- see برنامج تعليم الإنجليزية لغة ثانية التطوعي:
http://www.cal.org/caela/esl_resources/digests/SCHLUSBE.html.

2- ينظر: الهيمنة اللغوية، ص 224.

3- See: Global Volunteers:http://www.globalvolunteers.org

4- http://www.goabroad.com/providers/international-language-programs-ilp/programs/volunteer-with-international-language-programs-ilp-24269

3- مشروع تعليم الإنجليزيّة في كوستاريكا English Volunteers for change in Costarica[1]

4- مشروع تعليم الإنجليزيّة في سيريلانكا Sri Lanka Volunteers (SL) L[2]

5- مشروع تدريس الإنجليزيّة في تايلند Thi experience[3]

6- مشروع تعليم اللغة الإنجليزيّة في ألبانيا[4]

7- مشروع تعليم الإنجليزيّة في فيجي[5]

3.1.2. ما غاية التطوع اللغوي الإنجليزي؟

نجحت تلك المنظمات في إقناع الشعوب التي تقدّم لها خدماتها التطوّعية في الترويج للغة الإنجليزيّة ونشرها؛ بإقناع شعوب هذه البلاد بالحاجة إليها وفق المعطيات الواقعيّة، وتتم عملية الإقناع بتقديم الإنجليزيّة بوصفها الوسيلة نحو التقدم والرفاهيّة، وفي هذا الصدد، يشير المشرف على المشروعات اللغويّة في مؤسسة فورد الأمريكيّة إلى أنّ تعليم اللغة الإنجليزية لغة ثانية (ESL) هو مفتاح التنمية المستدامة التي تشارك فيها الولايات المتحدة الأمريكيّة مع الدول التالية: أندونيسيا، الفلبين، تايلاند، الهند، تركيا، أفغانستان، باكستان، مصر، نيجيريا، كولومبيا، البيرو[6].

وتوفّر بعض المؤسسات التعليميّة في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيّة دروسًا مجانية لتعليم اللغة الإنجليزيّة على الإنترنت، بإنشاء مواقع متخصصة تزوّد المتعلم بكل ما يحتاجه من أدوات ودروس وتسجيلات سمعيّة وبَصَريّة توفرها على موقع البرنامج الإلكتروني بعدة لغات مثل: الفرنسيّة، والفارسيّة، والعربيّة، والإيطاليّة وغيرها، من أجل جذب أكبر عدد من الراغبين بتعلّم الإنجليزيّة من مختلف انحاء العالم، وتسهيل مهمّة التعرّف على هذه المواقع وما تقدّمه من خدمات، ودروس. ومن الأمثلة على هذه البرامج:

1- مشروع تيد للترجمة المفتوحة Ted Open Translation Project[7].

1- see برنامج تعليم الإنجليزية لغة ثانية التطوعي في كوستاريكا: http://www.evolc.org

2- see برنامج تعليم اللغة الإنجليزية في سيريلانكا http://www.slvolunteers.com

3- see برنامج تعليم اللغة الإنجليزية في تايلند www.thai-experience.org

4- see برنامج تعليم اللغة الإنجليزية في ألبانيا:
http://www.gooverseas.com/volunteer-abroad/albania/love-volunteers/21042

5- see برنامج تعليم اللغة الإنجليزية في فيجي
http://www.gooverseas.com/volunteer-abroad/fiji/frontier/42164.

6- ينظر: الهيمنة اللغوية، ص 12-13.

7- مشروع (Ted Open Translation Project)
https://www.ted.com/about/programs-initiatives/ted-open-translation-project#

2- مشروع مرحباً لتعلم الإنجليزيّة welcome to learn English[1].
3- مشروع تحدَّث الإنجليزيّة Talke English[2].

2.2. تجارب تطوّعيّة لغويّة فرنسيّة

تقدّم المنظمات الفرنسيّة الكثير من الخدمات التطوّعيّة لترويج اللغة الفرنسيّة ودعم انتشارها، في محاولة لاستعادة حضورها السابق في العالم، وفي الدول التي كانت تحت سيطرتها، من خلال عدّة هيئات ومؤسسات تتنازعُها الرغبة في إثبات نفسها مقابل الهيمنة اللغويّة الأمريكيّة، وسرعة انتشارها.

في عام 1883م وقّعت فرنسا معاهدة التحالف الفرنسي لنشر اللغة الفرنسيّة، كما أقامت العديد من الهيئات والمنظّمات لدعم توسّع اللغة الفرنسيّة عالمياً مثل: لجنة هوات (HouatCommete) التي أسّست في عام 1966م للدفاع عن الفرنسيّة ولدعم انتشارها، وقامت فرنسا بحملة لدعم الفرنكفونيّة وتشجيعها[3] في الدول التي كانت تحت سيطرتها العسكريّة مثل لبنان ودول المغرب العربي وبعض دول القرن الإفريقي، مخصصةً جزءاً كبيراً من ميزانيّتها لدعم اللغة الفرنسية.

1.2.2. نماذج في التطوع اللغويّ الفرنسيّ

هنالك مشاريع عديدة في التطوع اللغوي الفرنسي الذي يركز على تعليم الفرنسيّة، في الدول التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، وسأتناول بعضاً من تلك المشاريع:

أ- برنامج تحالف المتطوعين للفرنسية Alliance Française Volunteer Program[4]
ب- مبادرة الوصول إلى مدغشقر Access Madagascar Initiative[5]
ج- مشروع: تعلّم الفرنسية في المغرب العربي والسنغال وتوغو[6].
د- برامج تطوعيّة متنوعة في الشابكة

1- مشروع: http://learnenglish.britishcouncil.org (welcome to learn English ar)
2- برنامج: http://www.talkenglish.com (talke English)
3- ينظر: الهيمنة اللغوية، ص 49.
4- see: Alliance Française Volunteer Program
http://www.francedc.org/About-Us/Volunteer.aspx
5- see مبادرة الوصول إلى مدغشقر
http://www.accessmadagascar.org/Activities/French-language
6- see مشروع تعلّم الفرنسيّة في المغرب العربي والسنغال وتوغو
http://www.projects-abroad.org/volunteer-projects/language-courses/french/

توفّر المؤسسات التربويّة الفرنسيّة مواقع إلكترونيّة ودورات مجانيّة لتعليم اللغة الفرنسيّة، مزودة بكل ما يحتاجه المتعلم من دروس وتسجيلات مجاناً، ومن الأمثلة عليها:

- برنامج صباح الخير لتعليم اللغة الفرنسيّة Bonjour[1].
- برنامج تعلّم الفرنسيّة[2].

2.2.2. ما غاية التطوع اللغوي الفرنسي؟

يقدم الفرنسيون خدماتهم التطوّعية للبلاد التي كانت تحت سيطرتهم، ويترافق تقديم الخدمة التطوّعيّة مع تعليم اللغة الفرنسيّة فيها؛ فالتطوّع في الدول «الفرنكوفونيّة» طريقة ذكيّة لتثبيت وجودها وفرض سيطرتها وهيمنتها في تلك الدول دون الحاجة إلى استخدام القوّة العسكريّة[3]، فالفرنكوفونيّة مصطلح يقابل الاستعمار السياسي وإعادة فرض الهيمنة على الدول الفرنكفونيّة، وقد نشرت جريدة (Le Monde) الفرنسيّة خبراً مفاده أنّ الحكومة تنوي إرسال مئة ألف أستاذ جامعي فرنسي إلى إفريقيا لتدريب أساتذة الجامعات وتدريبهم هناك لمنع تراجع الفرنسيّة في إفريقيا، وقد خصصت لدعم هذا المشروع أربعة مليارات يورو على مدى ثلاث سنوات[4]، برهاناً حياً على مقدار ما تنفقه فرنسا في سبيل فرض هيمتها من جهة، ومن جهة أخرى لتتغلّب على الولايات المتحدّة وبريطانيا المنافس في السّيطرة على العالم.

وتُعد التجربة الفرنسيّة في المحافظة على بقاء الفرنسيّة في إقليم «الكيبك» في كندا مثالاً حياً على إصرار فرنسا على المحافظة على وجودها الثقافي وإثبات نفسها أمام السيطرة الأمريكيّة، ونضالها المستمر «لضمان استمرار الشعب الفرنكوفوني في المقاطعة الفرنسيّة الوحيدة في كندا. إن اللغة والشعب متشابكان أحدهما مع الآخر بشكل يستحيل معه الحديث عن الكيبكيين دون الحديث عن لغتهم، وبقدر ما كان النضال من أجل اللغة مظفراً وُلِدَت حضارة حديثة وتأكدت الهويّة الكيبكيّة

1- برنامج: http://www.bonjour.com (Bonjour)

2- تعلم الفرنسية على الموقع: http://mylanguages.org/ar/learn_french.php

3- ينطلق مصطلح الفرنكفونيّة من مبدأ التقسيم الجغرافي للدول الناطقة بالفرنسيّة، وقد ابتدعه أونزيمريكلو (OnesimeReclu) في القرن الماضي في أثناء تصنيفه لسكان العالم انطلاقاً من اللغات التي يستخدمونها، فالفرنكوفونية كانت تعني الفرنسيّة، ثمّ سرعان ما تحوّل هذا المصطلح من دلالته الجغرافيّة ليحمل دلالات سياسيّة على يد الشاعر رئيس السنغال: ليوبولد سنغور (Leopold Senghor)، فقد توسّع المفهوم ليدل على الدول التي كانت مستعمرات للدولة الفرنسيّة في آسيا وإفريقيا وأوروبا، ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008م، ص367.

4- see: «100 000 professeurs pour l'Afrique» afin de prévenir le recul du français, Le Monde, 20/3/2014: http://www.lemonde.fr/international/article/2014/03/20/100-000-professeurs-pour-l-afrique-afin-de-prevenir-le-recul-du-francais_4386703_3210.html.

في كل الميادين»[1]؛ لذلك فتقدم الهيئات والمنظمات تسهيلات لتعلّم اللغة الفرنسية في إقليم الكيبك وبخاصةٍ لغير الناطقين بالفرنسيّة من المهاجرين، حيث تقدّم دائرة الهجرة في كيبك فرصة تعلم الفرنسيّة بالمجان بأساليب تربوية متعددة تمكنهم من اكتسابها، وتتكفل لهم بكل التكاليف[2].

ويوجد في فرنسا الكثير من الهيئات والمؤسسات التي تنفذ الكثير من المشروعات التطوعيّة في تعليم الفرنسيّة في كيبك، التي تستثمر وسائل التعليم الحديثة، بالإضافة إلى استغلال القطاع السياحي ومصاحبة تعليم الفرنسيّة الرحلات الترفيهيّة، وغير ذلك، وأذكر منها:

- مشروع Edu-inter[3].
- مشروع French immersion[4].

3.2.2. تجارب تطوّعية لغويّة ألمانيّة

من التجارب الدوليّة الأخرى التجربة الألمانيّة في خدمة اللغة الألمانيّة، ومحاولة إثبات وجودها بين اللغات العالميّة شأنها شأن اللغة الإنجليزيّة واللغة الفرنسيّة، وقد قادهم قلقهم حيالها أن قاموا بحملاتٍ بعضها حقق نجاحاً حول ضرورة إعطاء اللغة الألمانيّة حقاً مساوياً مثل اللغات الأخرى في المنظمات الدوليّة، وخصوصاً المنظمات الناشئة منها[5]. ومن المبادرات التطوّعيّة في خدمة الألمانيّة:

- مشروع المدارس: شركاء المستقبل الألماني[6].

وهي مبادرة عالميّة لدعم اللغة الألمانيّة أطلقها وزير الخارجيّة الألماني: فرانك فالتر شتاينماير، وخصص لها مبلغ: 45 مليون يورو لتمويلها؛ لإنشاء شبكة عالميّة تضم ألف وخمسمئة مدرسة شريكة في كل أنحاء العالم بهدف تعزيز شبكة المدارس الألمانيّة في الخارج والمدارس التي تمنح دبلوم اللغة الألمانيّة، وتوسيع التعاون بين المدارس لمواصلة تعزيز الألمانيّة لغة أجنبيّة في نظم التعليم المحليّة.

1- زينة وفيق الطيبي، كيبك أمريكا بالفرنسية، ترجمة وجيه جميل البعيني، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2003م، ص98.

2- see تعلّم الفرنسيّة في كيبك.
.http://immigration-quebec.gouv.qc.ca/en/french-language/learning-quebec/index.html

3- see: Edu-inter
http://learningfrenchinquebec.com/french-courses-for-adults/

4- see: French immersion http://www.languagevacation.com/quebec_city_french_language_cultural_immersion_vacations_canada.html.

5- ينظر: الهيمنة اللغوية، ص 50.

6- مبادرة المدارس: شركاء المستقبل/ = .http://www.goethe.de/ins/eg/kai/lhr/pas/ar7965708.htm

- برامج تطوعيّة متنوعة على الشابكة.

توفّر المؤسسات التربويّة الألمانيّة دروساً مجانيّة لتعليم اللغة الألمانيّة على الشابكة، حيث يقوم المتعلم بالتسجيل في هذه المواقع والبدء بأخذ دروسه مجاناً، حيث تتيح له فرصة التعلم بالاستماع إلى تسجيلات بهذه الدروس، كما توفر كتباً بصيغة (pdf) يتم تحميلها من البرنامج. ومن الأمثلة على هذه المواقع:

- موقع Loecsen[1]
- موقع About Education[2]
- برنامج Easy online German[3]

4.2.2. تجارب أخرى في التطوّع اللغوي

في هذا الجزء نرصد بقالب سريع بعض ملامح التطوع اللغوي في كل من الصين وإسبانيا (مقاطعة كتالونيا تحديداً)، وذلك كما يلي:

- برنامج تعليم اللغة الصينيّة للناطقين بغيره Overseas Volunteer Chinese Teacher Program[4].

يهدف هذا البرنامج -وفق أصحابه- إلى تعزيز فهم العالم للغة والثقافة الصينيّة، كما يهدف إلى تعزيز العلاقات وتنميتها بين الصين والدول الأخرى، ويقدم خدماته التعليميّة للطلبة في كل أنحاء العالم من أساتذة متخصصين حاصلين على شهادات البكالوريوس أو أكثر في الآداب الصينيّة أو اللغويات أو لغات أخرى، أو العلوم والفلسفة وغيرها.

- برنامج التطوع اللغوي الجامعي في الجامعات الكاتالانيّة[5].

1- موقع: http://www.loecsen.com/travel/0-en-67-2-1-free-lessons-german.html (Loecsen)

2- موقع: (about education)
http://german.about.com/od/onlinecourses/a/An-Online-German-Course.htm

3- موقع: http://www.easy-online-german.com (Easy online German)

4- see Overseas Volunteer Chinese Teacher Program
http://english.hanban.org/node_9806.htm#no3

5- ينظر: التجارب الحسنة لـ Linguamon في مجال التعددية اللغوية، التجربة الحسنة: التطوع اللغوي الجامعي، على الموقع الإلكتروني
http://www10.gencat.cat/pres_casa_llengues/AppJava/frontend/llengues_bp_print.jsp?id=44&idioma=2.

أُسس مشروع التطوع الجامعي في الجامعات الكتلانيّة[1] عام 1996م في جامعة برشلونة المستقلة (UAB) بسبب الحاجة إلى وجود طلاب من الخارج، وللمحافظة على اللغة الكتلانيّة لغة للاستخدام الطبيعي ضمن القطاع التعليمي وحمايتها من هيمنة اللغة الإسبانيّة عليها، بخاصةٍ أنّ بعض الطلبة كانوا يطلبون من الأساتذة الجامعيين التحدث باللغة الإسبانيّة لأنهم كانوا يجدون صعوبةً في فهم اللغة الكتلانيّة من الأساتذة.

وفي عام 2002م أنشأت الحكومة الكتالونيّة مشروع «متطوعون من أجل اللغة»، وهو برنامج يهدف إلى تعزيز اللغة الكتالانيّة عن طريق تعليم المتطوعين المهاجرين اللغة الكتالانيّة، حيث يقوم المتطوع بتخصيص ساعات معيّنة يتحدث فيها مع المهاجرين باللغة الكتالانيّة حتى يكتسب اللغة ويكون قادراً على التحدث بها بطلاقة[2]. والتطوع الجامعي من أجل اللغة مفتوح لجميع الطلبة ولا يوجد شروط محددة، لكنّهم يخضعون لدورات تدريبيّة ويزودون بكل ما يحتاجون من وسائل وأدوات.

الخلاصة والتوصيّات

عُني البحث بعرض مجموعة من التجارب العربيّة والدوليّة في مجال التطوّع اللغوي، مبيناً بعض الملابسات المحيطة بها والداعية إلى ظهورها، واهتماماتها، والأساليب والأدوات التي اتّبعها المتطوّعون وأهم الإنجازات التي حققتها، وقد خلص البحث إلى أن البرامج التطوعيّة اللغويّة الدوليّة تتميّز بجملة من الميزات ظهرت خلال عرض هذه التجارب، وهو ما منح اللغات الأجنبيّة حضوراً عالمياً يفوق حضور اللغة العربيّة في مختلف المجالات ولا سيّما على الشابكة، لعلّ أهمّها:

- التخطيط الجيد ووضوح السياسات الموجّهة تجاه هذه البرامج من الدولة. فقوانين الدول الأجنبيّة ترعى لغاتها، وتستصدر لها القوانين التي تحميها وتدافع عنها، وتضمن لها الاستمرار والبقاء، كما تقدّم لها الدعم المادي الكافي موجّهةً خطابها إلى مختلف المؤسسات والهيئات الرسميّة وغير الرسميّة من أجل دعم هذه البرامج، وهذا ما تفتقر إليه الدول العربيّة، فأغلب المبادرات التطوّعيّة العربيّة مبادرات خاصة فرديّة أو مؤسساتيّة لا تلقى الرعاية الكافية من المؤسسات

1- كاتالونيا إقليم يعيش فيه سبعة ونصف مليون نسمة لهم لغتهم وثقافتهم الخاصة، لكنه يخضع للحكم الإسباني، ويبذل سكان الإقليم جهودهم للمحافظة على هويّتهم الكتلانيّة في ظل محاولات الهيمنة الإسبانيّة، ومن هذه الجهود تشجيع الهجرة إليها للدراسة، وتعليم اللغة الكاتلانيّة للمهاجرين وللطلاب مثل برنامج التطوع اللغوي الجامعي في الجامعات الكتالانيّة. ينظر: محكمة إسبانيا الدستورية تعلق استفتاء استقلال كتالونيا، نقلاً عن: موقع الجزيرة. نت.
http://www.aljazeera.net/news/international/2014/9/30/

2- ينظر: متطوعون من أجل اللغة (تاريخ زيارة الموقع 28/ 10/ 2014):
https://www10.gencat.cat/pres_volull/AppJava//

الحكوميّة، ولا تستصدر لها القوانين الكافية لدعمها، وقد خلق هذا فجوة كبيرة بين الأهداف والمساعي في العمل التطوعي العربي والسياسات الحكومية الموجودة أدّت إلى تأخره وضعف إنجازاته، لذلك يوصي الباحث بضرورة دعم الحكومات العربية للعمل التطوعي وأن يقدم له الدعم المادي الكافي، والدعم المعنوي، بجانب أهمية استصدار القوانين الموجّهة لخدمة اللغة العربيّة مثل قوانين منع استعمال اللغات الأجنبيّة في المؤسسات الحكوميّة، وتعريب التعليم، وغير ذلك، فضلاً عن قوانين تدعيم العمل التطوعي نفسه، وإزالة معوقاته التنظيميّة والإجرائيّة وغيرها.

- أنّ حماية اللغة والدفاع عنها ليس مقيّداً بالحدود الجغرافيّة للدولة، ولا سيّما عند الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة وفرنسا، مما أدى إلى توسُّع هذه الخدمات التطوّعيّة إلى حدود الدول الأخرى بخاصة تلك الدول التي كانت تحت سيطرتها العسكرية، وذلك بهدف إثبات وجودها وإحكام سيطرتها من خلال الهيمنة اللغويّة والاقتصادية والسياسيّة كما بينت التجربة الأمريكيّة والتجربة الفرنسيّة، متّخذة من البرامج التطوّعيّة غطاءً ناعماً لإعادة استعمار تلك الدول ثقافياً والسيطرة على ثرواتها بما يحقق لها مصالحها الخاصة، يشفع لها في ذلك تقدمها الاقتصادي والتقاني الكبيرين، مما يجعل المجتمعات الفقيرة متورطة بوهم أنها «النموذج المثالي» الذي يُحتذى به، وأنّ ما تقدّمه من خدمات «لغويّة» سيرفع من مستوى الحياة التي يعيشون، ويحقق لهم الرفاهيّة.

وفي المقابل فإنّ ضعف التقدم التقاني والعلمي يؤثر سلباً في إقبال العرب على اللغة العربيّة، ويُضعف ثقتهم بها، عندما يفيئون إلى الشابكة ليطلعوا على ما فيها من علوم ودراسات وأبحاث فلا يجدون أمامهم إلا علوماً مكتوبة باللغة الإنجليزيّة أو غيرها، فالتقدم العلمي يفرض وجود اللغة الأجنبيّة فرضاً أمام العربي، ولتجاوز هذه المسألة فعلينا مضاعفة المحتوى العربي على الشابكة بتشجيع مواقع ترجمة الدراسات والبحوث الأجنبيّة إلى العربيّة، وإغناء المحتوى العربي بالدراسات والأبحاث العربيّة الأصيلة.

- ركزت التجارب الدوليّة في التطوع اللغوي - وفق رصدي لها- على تعليم اللغة وفق برامج ومبادرات مخطط لها ومدعومة، ومع أهمية هذا المسلك التطوعي، وضرورة أن يكون التطوع اللغوي العربي شاملاً للتعليم ولغيره من المجالات الحياتيّة؛ فالتطوع اللغوي الذي ننشده متنوع وملامس للمجالات التي تخدم العربيّة، وهذا ما لاحظناه في مجال تدعيم العربيّة في الفضاء الإلكترونيّ كما في بعض التجارب التطوعيّة اللغويّة العربيّة.

- وفرت بعض المواقع العربيّة على الشابكة الفرصة للباحثين في تنمية قدراتهم البحثيّة، وتشجيعهم على الإسهام في إغناء المحتوى العربي على الشابكة ببحوثهم ودراساتهم، وتشجيعهم على المشاركة في المسابقات الثقافيّة، وأتاحت لهم فرصة الاطّلاع على التراث العربي القديم،

وتعميق صلتهم به، وإحياء التراث العربي مرة أخرى بالبحث والدراسة؛ لذلك يحسن بنا إيلاء مثل هذه المواقع الرعاية ودعمها دعماً علمياً ومادياً وتوفير المواد العلميّة والكتب والدوريات ولا سيّما المصادر التراثيّة والموسوعات، وزيادة مخزونها الثقافي والعلمي مما يساعد في إغنائها.

المصادر والمراجع

العربيّة والمترجمة:

- القرآن الكريم.
- جون جوزيف، اللغة والهويّة قومية -إثنيّة- دينية، ترجمة عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 342/ 2007.
- روبرت فليبسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة سعد الدين الحشاش، جامعة الملك سعود، السعودية/ 2007م.
- زينة وفيق الطيبي، كيبك أمريكا بالفرنسية، ترجمة وجيه جميل البعيني، دار الفارابي، بيروت، ط1/ 2003م.
- عمل الأفراد التطوعي من مجرد الرغبة إلى الاحتراف، مجلة خطوة، السنة الثانية، ع2/ يوليو 2013م.
- لويس جان كلفي، حرب اللغات والسياسات اللغويّة، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1/ 2008م.
- مجموعة مؤلفين، اللسان العربي وإشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العربي (55)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1/ 2007م.
- محمد المختار ولد ابّاه، تاريخ النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/ 2008م.

الأجنبيّة:

- Adriana Val, PolinaVingoradova, Heritage Briefs: University of Maryland Baltimore country, center of applied linguistic, 2010.
- Peggy A. Thoits, Lyndi N. Hewitt: Volunteer work and well being, journal of health and social Behavior 2001, Vol 42, (June).